زعماء الحيوان

قلَّ من لم يرَ قطيعاً من الغنم وامامهُ كبش يقودهُ كأنهُ زعيم لهُ وسائر القطيع يتبعهُ معترفاً بزعامتهِ او قطيعاً من المعزى وامامهُ تيس كبير يقودهُ كيفما شاء. او عصابة من الجمع او الكراكي وامامها ذكر كبير كالقائد لها تقوم لقيامهِ وتقعد لقعودهِ . واكثر الحيوانات المتأجلة آجالاً تجري على هذه الخطة اي يكون للسرب منها زعيم يقودها . وقد راقب احد الصيادين الاميركيين طبائع هؤلاء الزعماء عن كثب وكتب فيها كتاباً ممتعاً نقرأهُ فنجد ان زعماء الحيوان لا تقل عن زعماء بعض القبائل المتوحشة دهاءً وسعة حيلة فاقتطفنا منهُ الفصول التالية

لوبو ملك كرمبو

كرمبو بلاد واسعة في ولاية نيومكسيكو الجديدة باميركا كثيرة القطعان خصبة المراعي يجري فيها نهر كبير اسمهُ كرمبو فأُطلق اسمهُ عليها . فيها ذئب اطلس (اغبر الى السواد) مستبد بها سمي لوبو ولُقِّب ملك كرمبو وهو زعيم عرجلة من الذئاب تأتمُّ بهِ وتأتمر بامرهِ فتسلَّط بها على تلك البلاد وعاث فيها فساداً . كل الرعاة هناك يعرفونهُ ويخشون شرهُ . اذا حلَّ بقعة بجنودهِ حلَّ الرعب في القطعان ورعاتها. وهو اكبر الذئاب جسماً واشدها بطشاً واوسعها حيلة . اذا عوى ليلاً ميَّز الرعاة عواءهُ من عواء غيرهِ يعوي غيرهُ الساعة بعد الساعة والرعاة نيام لا يعبأون بهِ لانهم يعلمون ان كلابهم كفوهُ المذود عنهم اما اذا عوى لوبو فانهم ينهضون لسماعتهم ويعلمون انهم سيرون في الصباح كم افترس من قطعانهم

اتباع لوبو قليل على غير عادة الذئاب اما لانهُ مستبد فلم يرضخ لهُ الاَّ هذا العدد القليل او لانهُ لا يرى بهِ حاجة الى جيش كبير العدَّة . فلم يكن معهُ في اخريات ايامهِ الاَّ خمسة من الاتباع وكلٌّ منها اكبر من الذئاب العادية ولاسيما الذئب الذي يليهِ في الزعامة فانهُ من اكبر الذئاب جسماً ومع ذلك كان اصغر من لوبو كثيراً . ومن الاتباع ذئب ابيض جميل المنظر علمت بعد ثلاثة اشهر انهُ انثى وهي زوجة لوبو ولذلك سميناها بلنكا اي البيضاء وذئب آخر اصفر اللون يسابق الطير في سرعتهِ ويقال انهُ كثيراً ما طارد الغزالة فادركهُ واصطادهُ

كان الرعاة كلهم في تلك البلاد يعرفون هذه الذئاب ويتمنون ان يلقوا من يخلصهم من

شرها لانهُ لم يمر يوم في السنوات الخمس الاخيرة الاَّ قتلت ثوراً من ثيرانهم والمرجح انها قتلت التي ثور في هذه المدة. وكانت تختار اسمن الثيران وارخصها لحماً ولا تأكل منها الاَّ ارخص لحمها ولا تكتفي بقتل ماتأكلهُ بل قد تقتلك بالثيران والخرفان رغبة في القتل لاغير فانها لا تستطيب لحم الغنم ومع ذلك فان بلنكا والذئب الاصفر قتلا في ليلة واحدة من شهر نوفمبر سنة ١٨٩٣ مائتين وخمسين خروفاً ولم يأكلا شيئاً منها

وقد حاول الرعاة قتل لوبو ورفاقهِ بكل وسيلة ممكنة بالسم والفخاخ والاسلحة فلم يفلحوا ولم يكن لوبو يخشى الاَّ الاسلحة النارية ولذلك كان اذا رأى انساناً نهاراً هرب من وجههِ حالاً وكان رفاقهُ يحذون حذوهُ خوفاً من ان يكون مع الانسان بندقية او غدارة . ولم يكن يأذن لنفسهِ ولا لاحد من اتباعهِ ان يأكل الاَّ من حيوان افترسهُ مخافة ان تُلقى لهُ فريسة دُسَّ السمُّ فيها . وكان شمُّ هذه الذئاب شديداً الى الدرجة القصوى فلا تمس طعاماً مستهُ يد انسان مهما كانت جائعة

رأى رجل من الرعاة اجلاً من البقر في واد وكان لوبو رابضاً على اكمة واتباعهُ يحاولون اقتراس بقرة فتية من الاجل والثيران واقفة في دائرة ورؤسها الى الخارج وقرونها كالسهام والذئاب تهجم عليها فلا تنال منها مأربا . واخيراً فرغ صبر لوبو فزعق زعقة منكرة وهجم على البقر فاصاب واحدة منها وهربت البقية لا تلوي على شيء . والبقرة التي اصابها قبض على عنقها كأنهُ القضاء المبرم فارتمت على الارض من شدة الوثبة وقلب هو سيقانهُ الهواء ثم نهض باسرع من النسيم وجاءهُ سائر الذئاب وفي لحظة قضت على البقرة ولوبو واقف جانباً كأنهُ لا يتنازل لعمل يستطيعهُ اتباعهُ

وعدا راعي تلك البقر وهو ينادي الذئب الذئب . فهرب لوبو واتباعهُ حسب العادة وكان مع الراعي زجاجة فيها استركنين وهو من افتك السموم فصب منها في ثلاث اماكن من شلو البقرة حاسباً ان الذئاب ستعود اليها وتأكلها لانها فريستها ثم جاء في الصباح التالي فاذا الذئاب قد عادت اليها واكلت لحمها ولكنها لم تمس الاماكن التي صب فيها السم

ولمَّا ضاق ذرع الرعاة (وهم اصحاب القطعان غالباً) بهذا الذئب اعلنوا انهم يعطون الف ريال لمن يقتلهُ فغرَّ ذلك رجلاً اسمهُ تيري فجاء بالرجال والخيل والفخاخ والاسلحة واكبر الكلاب التي تصيد الذئاب وكان قد اصطاد بها ذئاباً كثيرة . ونهض ذات يوم صباحاً برجالهِ وكلابهِ وذهبوا الى حيث يكون لوبو ولم يسيروا ميلين حتى رأوهُ يعدو امامهم

والعادة في سهول تكساس التي جاء منها هذا الصيّاد ان يعدو جانب من الكلاب وراء الذئب وتشاغلهُ الى ان يصل الصياد . اما كرمبو فكانت آكامًا ووهادًا وحزونًا وعراقيب كثيرة الغدران فخاض نهر غديرًا منها واختفى عن الابصار وعجزت الكلاب عن استرواحهِ وتفرقت اتباعهُ وفعلت فعلهُ وتبعتها الكلاب متفرقة فعادت الذئاب اليها وقتلت بعضها وأثخنت في البعض الآخر وكانت ستة فلم يسلم منها الاَّ كلبان وقد عادا مثخنين بالجراح . وحاول هذا الصياد اقتفاء اثر لوبو مرتين بعد ذلك فلم يفلح وفي المرة الاخيرة قُتل اجود خيلهِ

وفي السنة التالية قام صيادان آخران ومعهما انواع جديدة من السموم وجعلا يسمّان اللحم ويلقيانهِ للذئاب على غير جدوى . وكان لاحدهما واسمهُ كالون حقل واسع على غدير من نواصر نهر كرمبو فاختار لوبو وبلنكا مغارة بين صخورهِ مقرًّا لاجرائهما وكانت هذه المغارة على نحو ثلاثة آلاف قدم من منزل كالون فاقاما فيها الصيف كلهُ وقتلا كثيرًا من بقرهِ وغنمهِ وكلابهِ وهزآ ا بسمومهِ ونفاخهِ وهو جالس يضرب اخماسًا لاسداس وقد قال لي انظر ان مغارة هذا الشيطان على مقربة منا وانا جالس هنا ولا حيلة في يدي قال ذلك مشيرًا بيدهِ الى صخور قائمة امامنا

سمعتُ هذه الاخبار كلها من الرعاة فعسر عليَّ تصديقها الى ان رأيت لوبو بنفسي وعرفتُ حيلهُ عن كثب وذلك سنة ١٨٩٣ وكنت قد تعاطيت صيد الذئاب مدة ثم تركتهُ وتناولت اعمالاً اخرى قيدتني بالجلوس وراء مكتبي فشعرت بالحاجة الى تغيير الهواء واذا انا بصديق من اصحاب التعطمان جاءني ودعاني للذهاب معهُ الى كرمبو لعلي استطيع ان انتقذم من ذلك الذئب فلبيت طلبهُ وذهبت معهُ وجلت في البلاد حتى اعرف معالمها وكان دليلي يريني عظام البقر وجلودها لاصقة بها ويقول ان ذلك من فعال لوبو . فاتضح لي ان البلاد صخرية كثيرة الحزون والعراقيب فيستحيل ان تصاد الذئاب فيها بالخيل والكلاب . ولا بدَّ من الاكتفاء بالنفاخ والسموم ولم يكن لديَّ نفاخ قوية لمسك ذئب مثل لوبو فجعلت اعتمادي على السم

ويطول بي الكلام اذا شرحت انواع السموم التي استعملتها كالاستركنين والزرنيخ والسيانيد وطرق استعمالها ولم اترك نوعًا من اللحم الاَّ استعملتهُ ولكنني لم افلح في شيء منها لان لوبو كان احكم وادهى من ان يؤخذ على غرة . والى القارئ مثالاً من الحيل التي توسلت بها . ذبحت عجلةً واستخرجت شحم كليتيها واذبتهُ مع قليل من الجبن في اناء من الخزف المدهون ولما برد قطعتهُ اقراصًا يكين من العظم حتى لا يمسهُ معدن ووضعت

الاستركنين والسيانيد زوهما من افتك السموم) في حوافظ صغيرة لا راتحة لها وادخلت حافظة منها في كل قرص من تلك الاقراص . عملت ذلك وانا لابس كفوفاً من الجلد مغمسة بدم العجلة وكنت اذا اردت التنفس احرف وجهي حتى لا يقع نفسي على الاقراص . ثم وضعت هذه الاقراص في جلد سلخ حديثاً ومرّغ بالدم وربطت كبد العجلة وكليتيها بطرف حبل وركبت وجررت الحبل ورائي مسافة عشرة اميال وانا التي جانباً من تلك الاقراص على الارض كل ربع ميل ولم المس واحداً منها بيدي . وكان ذلك يوم اثنين وعدنا عوداً لوبو ورفاقه ليلاً فقمنا في الصباح لنرى نتيجة عملنا فرأينا آثار لوبو في الارض لان اثر خف الذئب العادي طوله اربع بوصات ونصف بوصة واما اثر خف لوبو فخمس بوصات ونصف بوصة ووجدنا هذه الآثار في الطريق الذي سرت فيه واتضح لي بعد قليل ان لوبو عثر على القرص الاول فالتقطه فكدت اطير فرحاً حاسباً انني ساجده بعد قليل مطروحاً على الارض جثة هامدة ثم وصلت الى مكان القرص الثاني فلم اجده فزاد سروري حاسباً ان السم اهلكه واهلك اتباعه ايضاً . ولم اجد القرص الثالث في مكانه ولما وصلت الى القرص الرابع وجدت ان لوبو التي عليه الاقراص الثلاثة الاولى وبال عليها وتفوّط ايضاً احتقاراً لها ولي وترك بقية الاقراص وانصرف في طريقه كأنه اكتفى بما فعل وحذّر اتباعه

هذه حالة واحدة من حالات كثيرة اقنعتني ان لا سبيل الى هذا الشيطان بالسم فانتظرت مجيء الفخاخ التي اوصيت عليها مع انني لم اعدل عن استعمال السم بين آونة واخرى

وحدثت حينئذٍ حادثة من ادل الحوادث على مهارة هذا الخبيث وسعة حيلته ذلك ان الذئاب تسطو على قطعان الغنم وتفتك بها لا لتأكلها لانها لا تستطيب لحمها على ما يظهر بل لمجرد الفكاهة . والغنم هناك قطعان كبيرة كل قطيع منها الف خروف الى ثلاثة آلاف وله راع واحد او اكثر وهي تجمع في المساء وينام الرعاة حولها لوقايتها لكن الغنم جزوعة تشرد لاقل مزعج ولكنها تتبع قائدها في كل حال ولذلك جعل الرعاة يقيمون في كل قطيع بضعة تيوس من المعزى . والظاهر ان الغنم تحسب في المعزى المهابة وحصافة الرأي لانها ترى لحاها فاذا حدث ما يزعجها ليلاً اجتمعت حول التيوس ولم تشرد في البر وذلك يدعو الى نجاتها غالباً . وحدث ذات ليلة في شهر نوفمبر ان الذئاب هاجمت الغنم فنهض الرعاة ووجدوا غنمهم مجتمعة حول التيوس والتيوس لاحمق فيها ولا جبن فوقفت في اماكنها مستعدة للدفاع . الاّ ان لوبو كان يعلم ان التيوس حصن الغنم الحصين فتجاوز

الغنم وقصد التيوس فقتلها كلها والجمال شردت القطعان وتفرقت في عرض البر فتكت الذئاب بها فتكاً ذريعاً

واخيراً وصلت الفخاخ فنصبتها في اماكن مختلفة وقمت في اليوم التالي اتفقدها وكنت قد اخفيتها تماماً فوجدت ان لوبو اهتدى اليها وكشفها كلها واحداً واحداً اقوامها واثقالها وسلامتها . لكنني لحظت انهُ رأى قرب واحد منها اثراً رابهُ فدار وسار في طريقهِ فنبهني ذلك الى امر قد يكون نافعاً . فنصبت الفخاخ في المرة التالية في خطين متوازيين على طرفي خط فيهِ اثر اقدام ونصبت في وسط هذا الخط فخاً آخر فوجدت في اليوم التالي ان لوبو مرَّ على الفخاخ فخاً فخاً وكشفها في النصف الاول والثاني والثالث ولم يعلق بواحد منها. وقد غيرت هذا الاسلوب على صور شتى فلم انل منهُ منالاً لاني لم استطع ان اخدعهُ بطريقة من الطرق

ولقد لحظت مرة او مرتين ان بين اتباعهِ ذئباً لا يعترف بزعامتهِ لانني رأيتهُ ماشياً امامهُ وهو الذئب الابيض فاستنتجت انهُ انثى وانها زوجتهُ لانهُ لو كان المتجاسر على السير امامهُ ذكراً لدق عنقهُ في لحظة من الزمان . ولما رأيت ذلك خطر على بالي اسلوب آخر للقبض عليهِ فذهبت عجلة والتيتها حيث يتردد الذئاب ووضعت الى جانبها فخين ولم احاول اخفاءها وقطعت رأسها وهو ممَّ تعافهُ الذئاب والقيتهُ على الارض ونصبت حولهُ ستة فخاخ من اقوى ما عندي وكنت قد سرَّغت بدم العجلة يديَّ وجزمتي وكل ما استعملتهُ من الادوات ورششت بعض الدم على الارض بين الجثة والرأس ومهَّدت الارض بجلد ذئب وطبعت فيها آثاراً من اقدامهِ . وكان بين جثة العجلة ورأسها ادغال بريَّة فنصبت فيها فخين من اقوى ما يكون وربطتهما برأس العجلة

ومن عادة الذئاب انها تأتي الى كل شلو تعثر عليهِ فتشمهُ ولو لم تقصد اكلهُ فحسبت انها ستفعل ذلك الآن . ثم قمت في الصباح وخرجت لارى ما حدث فاذا آثار الذئاب كثيرة وتدلُّ كلها على ان لوبو اوقف اتباعهُ بعيداً عن الفخاخ ولكن واحداً منها لم يرضخ لامرهِ بل تقدم من الرأس يشمهُ فداس في فخ من الفخاخ فعلق بهِ ولكنهُ انتزعهُ من الارض مع الرأس المتصل بهِ ونقلهُ اكثر من خمسين ليبرة وابعد عن تلك البقعة . فاقتفينا اثرهُ واذا بالرأس قد علق بين صخرين والذئب هو بلنكا زوجة لوبو وهي اجمل الذئاب التي وقع عليها نظري فلما وصلنا اليها دارت الينا والشر يقدح من عينيها وعوت عواء دوت لهُ الاودية فاجابها لوبو بصوت مزعج لكننا اطبقنا عليها كالقضاء المبرم فلم نرَ سبيلاً للدنو

منها ورأيت ان لا بدّ لنا من ان نرميها بالرمح ونخنقها بهِ ففعلت مكرهًا فالتف حول عنقها وشددناهُ فجحظت عيناها واسلمت الروح . ولا ازال اتذكر ذلك آسفًا . ثم حملناها غنيمة غير باردة وعدنا بها الى مخيمنا ونحن نحسب اننا دفعنا لوبو اول دفعة من ثمن العجل . وكنا نسمع ونحن راجعون صوت لوبو وهو اشبه بزئير الاسد منهُ بعواء الذئب والظاهر انهُ لم يفارقها مطلقًا ولكنهُ لما رآنا قادمين تنبه فيهِ الخوف الطبيعي من الاسلحة النارية فابعد عنها ولما لوبنا راجعين عاد ينتش عنها و يناديها . ولم ينقطع نداؤهُ لها النهار كلهُ . ولما امسى المساء جعل صوتهُ يدنو منا وفيهِ نغمة الحزن واليأس واضحة ولما

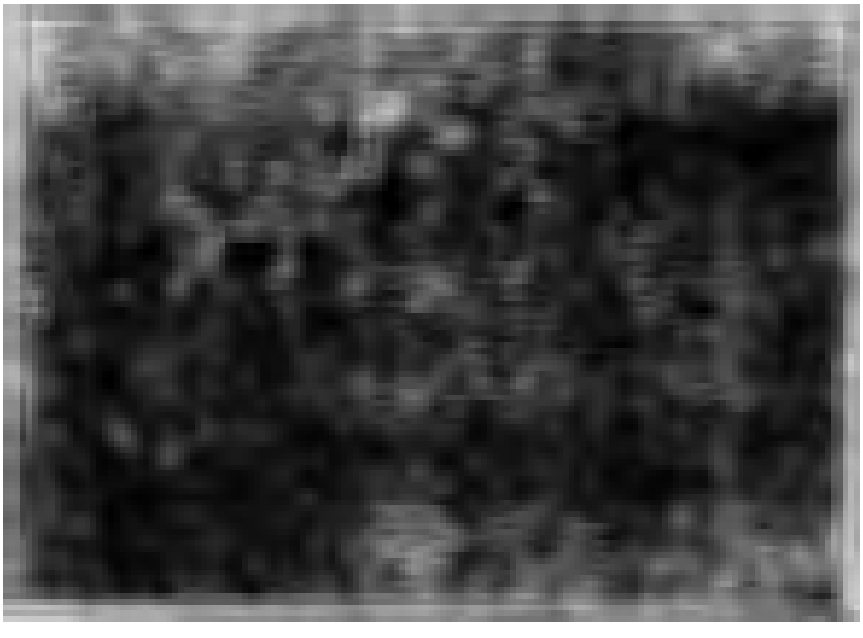

لوبو وبلنكا

وصل الى المكان الذي خنقناها فيهِ خانهُ صبرهُ على ما يظهر وزايلتهُ عزيمتهُ فصار عواؤهُ نواحًا وبكاءً . ثم اقتفى اثر الفرس الذي كنتُ راكبًا عليهِ وجاءنا للاخذ بالثار فوجد كليًا من كلابنا قائمًا على الحراسة فرقهُ تمزيقًا والظاهر انهُ اتانا وحدهُ لانني لم ارَ في الارض غير آثارهِ وكنت قد انتظرت ذلك ونصبت فخاخًا كثيرة حول المخيم فعلق بواحد منها ولكنهُ تملّص منهُ بقوتهِ الفائقة

وقام في نفسي انهُ مبيّتنا كل ليلة حتى يجد ثأره بلانكا فلا بدّ من ان اغتنم هذه الفرصة

لاقبض عليهِ واسفت حينئذٍ لاني قتلتها ولم ابقها حيّة لاغرائهِ . فجمعت كل ما عندي من نخاخ الذئاب وهي ١٣ نخًا ونصبتها اربعة اربعة في كل الطرق التي تؤدي الى مخيمنا واعتنيت بنصبها حتى لا يظهر للانسان يد فيهِ ثم سحبت شلو بلانكا فوق الامكنة التي اخفيت فيها النخاخ ونزعت خفًّا من اخفافها وطبعت بهِ الارض هنا وهناك كأنها مشت عليها . ومرَّ الليل والنهار التالي ونحن نسمع صوت لوبو ولا نرى لهُ اثرًا وفي الليل التالي وقع شغب شديد بين الثيران فقمت في الصباح وخرجت اتفقد النخاخ واذا انا بشيء اغبر ملقى على الارض ولم أكد ادنو منهُ حتى نهض وحاول التخلص واذا هو لوبو مالك كرمبو علقت بهِ اربعة نخاخ وحولهُ آثار الثيران كأنها اجتمعت حواليهِ تشفيًا منهُ ولكنها لم تجسر ان تمسهُ بسوء . وبقي على هذه الحالة نهارين وليلتين لا طعام ولا شراب وهو يجاهد ليتخلص من الاسر الى ان خارت قواهُ . ولما دنوت منهُ حينئذٍ نهض واز بأرَّ وزأر زئيرًا منكرًا دوت لهُ الاودية وكنت اعلم انهُ لا يستطيع الافلات مهما حاول لان ثقل كل نخٍّ من النخاخ الاربعة ثلاثمائة رطل ولما ادنيت حديد بندقيتي منهُ عضهُ بانيابهِ ولا تزال آثارها فيهِ الى الآن ونظر اليَّ نظرة الغيظ والانتقام . واردت ان يكال لهُ بالكيل الذي كالهُ لغيرهِ فشعرت بشيء من نخس الضمير ولكنني تغلبت عليهِ والقيت الوهق عليهِ ليلتف حول عنقهِ فتناولهُ باسنانهِ وقطعهُ فعدوت الى الخيم واتيت بوهق آخر واحد الرعاة لخنقهُ بهِ ولكنني عدلت عن ذلك لما رأيت ان قواهُ قد خارت فانقمعهُ عصًا وربطتها حول رأسهِ كنطور اللجام ولما رأى انهُ لم يبقَ لهُ سبيل لعضنا ولا للنجاة سلَّم للقدر وكأن لسان حالهِ يقول لي انا بين يديك فافعل ما تشاء . ثم ربطنا يديهِ ورجليهِ وحملناهُ الى مخيمنا وقيدناهُ بسلاسل متينة ووضعت لهُ لحمًا وماءً فلم يمسهما بل ربض على صدرهِ وعيناهُ شاخصتان وهو لا يبدي خراكًا . وكنت انتظر انهُ ينادي اعوانهُ ليلاً فتأهبت لها لكنهُ لم يفعل

اسد قيدت اظفارهُ وربطت توائمهُ بالسلاسل عقاب فقدحريتهُ فانصرع فؤادهُ . حمامة فقدت الفها نهضنا في الصباح فوجدناهُ جثة هامدة فوضعناهُ الى جانب بلانكا ونحن نقول لا نفرق بينهما في الممات كما فرقنا في الحياة انتهى

العبرة في هذه القصة ليس في تفاصيلها بل في وجود النوابغ والزعماء في طوائف الحيوان كما توجد في طوائف الناس فهل كان لذلك يدٌ في توليد الانواع